جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

البعد الأخلاقي لنظرية التطور، عرض ونقد

إعداد

د. مختار محمد عبد اللّه علي

المدرس بقسم الأديان والمذاهب
بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي
الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

البعد الأخلاقي لنظرية التطور عرض ونقد

مختار محمد عبد الله علي
قسم الأديان والمذاهب – كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة – جامعة الأزهر– مصر.
البريد الإلكتروني:– sheikhmokhtarabdullah@gmail.com

ملخص البحث :ـ

لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم صالح الأخلاق، وليكمل مكارمها، وقد أرسى –صلى الله عليه وسلم – دعائم الخلق الحسن وأركانه وأسسه، وبيّن أن الدين المعاملة، وينبغي على المسلم أن يكون حسن الخلق، حتى يكون في منزلة قريبة من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فقد جاء في الحديث (إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) وبهذا فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم أساس الأخلاق، وفهمنا أن ارتباط الأخلاق بالدين والعقيدة ارتباط وثيق ينبعث من اعتقاد المسلم وإيمانه بالله تعالى. وبهذا فإن الخُلُق محاط بسياج الإيمان، يرجو المؤمن الثواب من الله تعالى فيهذب نفسه ويحسن خلقه، ويسير في المسار الأخلاقي الذي يحدده الله تعالى ورسوله، فعلى سبيل المثال: جاء في الإسلام أن الزنا حرام ، وهو من الأخلاق المرذولة، وعلى المؤمنين اجتنابه ، والمعيار هنا هو البيان الإلهي، لكن الأمة ابتليت بفئة من الخلق أنكروا الإيمان بالله الخالق، واعترضوا على شرعة ودينه، ووقعوا في ورطة أصل الأخلاق الإنسانية، وواجهوا تحدياً كبيراً، إذ إنهم آمنوا بالمادة فحسب والنفع الذاتي والأنانية المطلقة، فقابلتهم مشكلة كبرى، وهي: خلق (الإيثار) إذ كيف لإنسان أن يضحي بكل شيء من أجل غيره، حتى إنه قد يضحي بحياته من أجل غيره، فهذا المثال وحده كفيل بهدم المذهب الأخلاقي المادي، لأن مصلحة الإنسان الذاتية تحتم عليه أن يقول: أنا ومن بعدي الطوفان، لكنهم لم يجدوا هذا بل وجدوا خلافه، فراحوا يؤسسون أفكاراً تنطلق من أصل مادي وتحليل أناني حتى للأخلاق، وهؤلاء هم أصحاب نظرية التطور. وقد خلص البحث إلى أن المطالع لما دوّنه أصحاب نظرية التطور بدءاً من مؤسس النظرية الأول (تشارلز دارون ١٨٠٩–١٨٨٢) يلاحظ أنهم متخبطون في حديثهم عن الأخلاق

وأصلها، فتارة يزعمون بأن الأخلاق تقوم على الأنانية والصراع من أجل البقاء، وتارة يقولون بأنها متطورة شأنها في ذلك شأن نظرية التطور للأصل الإنساني التي وضع قواعدها دارون. وأن أصحاب هذه النظرية افتقدوا أبسط أسس المعرفة العلمية حيث ناقضوها، وبنوا أفكارهم إما على معرفة مجتزأة أو منفعة لحظية، أو بدافع شهوة وغريزة، وقد بين الإسلام أن مثل هذه النظريات التي لا تقوم على منهج علمي صحيح تضل ولا تهدي، وتضر ولا تنفع، وإن لبست ثوب العلم وادعته شعاراً لها.

الكلمات المفتاحية: دارون–نظرية النشوء والارتقاء– التطور – الأخلاق– الإسلام

The dimension of the theory of evolution, presentation and criticism

Mokhtar Mohammed Abdullah Ali
Department of Religions and Sects - College of Islamic Dawa in Cairo Al-Azhar University – Egypt ..
Email: sheikhmokhtarabdullah@gmail.com

Abstract :

The Prophet, may God's prayers and peace be upon him, was sent to perfect good morals and to complete their good deeds. He - may God's prayers and peace be upon him - laid the foundations, pillars and foundations of good morals, and made clear that religion is transaction, and a Muslim must have good morals, so that he will be in a position close to the Prophet. So that he will be in a position close to the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, on the Day of Resurrection. It was stated in the hadith, "The closest of you to me in sitting on the Day of Resurrection is the one who has the best morals." Thus, the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, laid the foundation of morals, and we understood that the connection of morals to religion and belief is a close connection that stems from a belief The Muslim and his faith in God Almighty. Thus, character is surrounded by the fence of faith. The believer hopes for reward from God Almighty, so he disciplines himself, improves his character, and follows the moral path determined by God Almighty and His Messenger For example: It is stated in Islam that adultery is forbidden, and it is among the detestable morals, and believers must avoid it, and the criterion here is the divine statement, but the nation was plagued by a group of people who denied belief in God the Creator, and objected to His law and religion, and fell into the dilemma of the origin of human morality, and faced A great challenge, as they believed only in materialism, self-interest, and absolute selfishness, so they faced a major problem.It is: the creation of (altruism), because how can a person sacrifice everything for the sake of others, to the point that he may

sacrifice his life for the sake of others? This example alone is sufficient to destroy the materialistic moral doctrine, because the person's self-interest requires him to say: I am and after me will be the flood, but they They did not find this, but they found the opposite, so they began to establish ideas that stem from a materialistic origin and a selfish analysis, even of morals, and these are the owners of the theory of evolution.The research concluded that reading what was written by the proponents of the theory of evolution, starting with the first founder of the theory (Charles Darwin ١٨٠٩-١٨٨٢), notices that they are confused in their talk about morality and its origin. Sometimes they claim that morality is based on selfishness and the struggle for survival, and sometimes they say that it is as advanced as it is. This is the same as the evolutionary theory of human origin, the foundations of which were established by Darwin.The proponents of this theory missed the most basic foundations of scientific knowledge, as they contradicted it, and built their ideas either on fragmentary knowledge or momentary benefit, or out of desire and instinct. Islam has made clear that such theories that are not based on a correct scientific method go astray and do not guide, and are harmful and do not benefit, even if She wore a flag dress and called it her emblem.

Keywords: Darwin - Theory of evolution and evolution - Evolution - Ethics – Islam

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم صالح الأخلاق، وليكمل مكارمها، وقد أرسى –صلوات الله وسلامه عليه– دعائم الخلق الحسن وأركانه وأسسه، وبيّن أن الدين المعاملة ، وينبغي على المسلم أن يكون حسن الخلق، حتى يكون في منزلة قريبة من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فقد جاء في الحديث **(إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي، مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا)**(١) وبهذا فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم أساس الأخلاق، وفهمنا أن ارتباط الأخلاق بالدين والعقيدة ارتباط وثيق ينبعث من اعتقاد المسلم، وإيمانه بالله تعالى. وبهذا فإن الخُلُق محاط بسياج الإيمان، يرجو المؤمن الثواب من الله تعالى فيهذب نفسه ويحسن خلقه، ويسير في المسار الأخلاقي الذي يحدده الله تعالى ورسوله، فعلى سبيل المثال: جاء في الإسلام أن الزنا حرام ، وهو من الأخلاق المرذولة، وعلى المؤمنين اجتنابه ، والمعيار هنا هو البيان الإلهي، لكن الأمة ابتليت بفئة من الخلق أنكروا الإيمان بالله الخالق، واعترضوا على شرعة ودينه، ووقعوا في ورطة أصل الأخلاق الإنسانية، وواجهوا تحدياً كبيراً، إذ إنهم آمنوا بالمادة فحسب والنفع الذاتي والأنانية المطلقة، فقابلتهم مشكلة كبرى، وهي: خلق (الإيثار) إذ كيف لإنسان أن يضحي بكل شيء من أجل غيره، حتى إنه قد يضحي بحياته من أجل غيره، فهذا المثال وحده كفيل بهدم المذهب الأخلاقي

---

(١) عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي، مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ " أخرجه الإمام أحمد في مسنده، في مسند الشاميين، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م طبعة الرسالة برقم (١٧٧٤٣) (٢٧٩/٢٩)، قال عنه الإمام الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. (انظر: الإمام أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، طبعة مكتبة القدسي، القاهرة، سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.(١٦٥/٧)

المادي، لأن مصلحة الإنسان الذاتية تحتم عليه أن يقول: أنا ومن بعدي الطوفان، لكنهم لم يجدوا هذا بل وجدوا خلافه، فراحوا يؤسسون أفكاراً تنطلق من أصل مادي وتحليل أناني حتى للأخلاق، وهؤلاء هم أصحاب نظرية التطور.

والمطالع لما دوّنه أصحاب نظرية التطور بدءاً من مؤسس النظرية الأول (تشارلز دارون ١٨٠٩-١٨٨٢) يلاحظ أنه متخبط في حديثه عن الأخلاق وأصلها، فتارة يزعم بأن الأخلاق تقوم على الأنانية والصراع من أجل البقاء، وتارة يقول بأنها متطورة شأنها في ذلك شأن نظرية التطور للأصل الإنساني التي وضع قواعدها بنفسه.

وفي هذا البحث أجتهد في بيان هذه النظريات المادية للأخلاق وتحليلها، وبيان الرأي الإسلامي لهذه الأفكار، وتلكم المبادئ، ومدى خطورتها على الواقع الإنساني.

سبب اختيار الموضوع:

تنبع أهمية هذا الموضوع من الآثار المدمرة للبشرية التي نتجت عن الفكر الداروينى وأصحاب التطور إذ نجد أن عمليات الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي لبعض الشعوب يرجع إلى فكرة الانتخاب الطبيعي التي تنص على أن البقاء في الوجود للأقوى ، وأن مساعدة الضعفاء والفقراء ينافي أهم مبادئ نظرية التطور، وحتى ما تقوم به الحكومات من مساعدة الفقراء أو توزيع أمصال لحمايتهم من الأمراض كل هذا ينافي نظرية الانتخاب الطبيعي، أي أنهم يريدون من البسطاء والضعفاء والمعوزين الهلاك والدمار والموت والإبادة حتى لا يبقى إلا الأقوياء فقط، وهذا حاصل نظرية الانتخاب الطبيعي.

وفي الجانب الأخلاقي نرى أن التطوريين لا يثبتون شيئاً من الأخلاق الإنسانية باعتبارها إلهية، أو حتى إنسانية، وإنما هي أخلاق دعت إليها حاجة التطور للبشرية، وهي بهذا الوصف أخلاق أنانية ومتطورة حسب ما يضمن البقاء للأقوى أيضاً

إذاً يجوز للإنسان الذي يستطيع أن يخدع مجتمعه أو ألا يعمل أو يسرق جهد غيره أن يفعل ذلك بلا مبالاة، وفقاً لنظرية التطور!

منهجي في البحث:

سوف أستخدم المنهج التحليلي في هذا البحث عند تحليل الفكرة وعرضها، بالإضافة إلى المنهج المقارن عند مقارنة أفكار علماء التطور بغيرها، ثم النقد في ضوء المنهج الإسلامي.

خطة البحث

وقد جاء هذا البحث مكوناً من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجي في البحث.

التمهيد: ويشتمل على نبذة تاريخية عن نظرية التطور.

المبحث الأول: التعريف بأبرز علماء نظرية التطور، ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التعريف بـ (تشارلز دارون)

المطلب الثاني: التعريف بـ (هربرت سبنسر)

المطلب الثالث: بـ(ولتر ستيس)

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق عند أصحاب نظرية التطور، ويشتمل على أربعة مطالب

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق عند داروين

المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق عند سبنسر

المطلب الثالث: مفهوم الأخلاق عند ولتر ستيس

المطلب الرابع: نسبية الأخلاق عند علماء التطور

المبحث الثالث: نقد البعد الأخلاقي لنظرية التطور، ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: نقد مفهوم الأخلاق عند علماء التطور

المطلب الثاني: نقد مفهوم نسبية الأخلاق

المطلب الثالث: نقد مفهوم الانتخاب الطبيعي (البقاء للأقوى)

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بأبرز علماء نظرية التطور

قدّم علماء التطور رؤى أثارت عقول العلماء حول الأخلاق، حيث حاولوا تفسير أصول السلوكيات الأخلاقية، من منظور بيولوجي وتطوري، كان من أبرزهم تشارلز داروين(١٨٨٢-١٨٠٩) الذي انطلق من مسلمات علمية، وهي أن الأخلاق مرتبطة بالطبيعة البشرية إلى استنتاجات تخالف هذه المسلمات، كالزعم بأن الأخلاق، قد تطورت مادياً في المجتمعات البشرية من أجل الوصول إلى اللذة والبقاء، وللتعاون بين الأفراد، وقد تبع "دارون" في ذلك علماء بارزون طوروا من نظريته، وأضافوا لها أفكاراً واستنباطات، لم تبتعد في جوهرها عن أصل نظرية دارون "وهو التطور" أو كان مؤدى كلامهم لا يخرج أيضاً عن هذا الإطار.

ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال: **ألفريد راسل والاس** (١٩١٣-١٨٢٣)[١] العالم البريطاني الذي عاش في نفس فترة داروين، أحد المساهمين الرئيسيين في تطوير نظرية الانتخاب الطبيعي. وقد عمل والاس على دراسة الحياة البرية في جنوب شرق آسيا، حيث توصل بشكل مستقل إلى مفاهيم مشابهة لتلك التي توصل إليها داروين.

ومنهم جريجور مندل الراهب النمساوي (١٨٨٤-١٨٢٢)[٢]، والذي يُعتبر الأب المؤسس لعلم الوراثة. على الرغم من أنه لم يكن مرتبطًا مباشرة بنظرية التطور، لكن تجاربه كانت محاولة لفهم كيفية انتقال الصفات الوراثية عبر الأجيال، ثم بعد فترة يسيرة أصبحت قوانينه المتعلقة بالوراثة، العمود الفقري لفهم الآليات الجينية التي تدعم نظرية التطور.

---

(١) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة ، ج٣، طبعة: ذوي القربى ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ ،صـ٢٣.

(٢) انظر: كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث ١٧١٩-١٩١٤ ، ترجمة د. فاضل حسين ، جامعة الموصل، العراق ١٩٨٧ ، صـ١٢٥.

ومنهم إرنست هيكل عالم الأحياء الألماني (١٩١٩-١٨٣٤)،[١] وقد كان من أبرز المدافعين عن نظرية داروين في أوروبا.

ومنهم جوليان هكسلي (١٩٧٥ – ١٨٨٧)[٢] عالم الأحياء البريطاني في القرن العشرين، من الرواد الذين ساعدوا في صياغة ما يُعرف بـ "التركيب الحديث" لنظرية التطور. وقد تمكن هكسلي من دمج الانتخاب الطبيعي مع علم الوراثة والبيولوجيا الجزيئية، مما جعل النظرية أكثر شمولًا وارتباطًا بالعلم الحديث.

ومنهم هربرت سبنسر (١٩٠٣-١٨٢٠) و ولتر ستيس (١٩٦٧-١٨٨٦) واللذين سنعرف بهما وبدارون وبأفكارهم وآراءهم تفصيلاً في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وقد اقتصرت في عرض البعد الأخلاقي عند مؤسس النظرية "دارون" و "سبنسر" و"ستيس" تفصيلاً –بخلاف من سأذكر أقوالهم على سبيل الإجمال– كنماذج معبرة عن مراحل زمنية مختلفة تستوفي في مجملها أهم مبادئ القائلين بالتطور الأخلاقي، والنسبية الأخلاقية كما سيتضح في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

(١) انظر: زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر. دار المسيرة .عمان ، ط١ ،٢٠١٢ ، صـ ٣٦٧ .

(٢) نفسه صـ٣٦٩

المطلب الأول: التعريف بـ (تشارلز داروين ١٨٠٩-١٨٨٢)

يمكننا التعريف بحياة داروين وشخصيته من خلال النقاط الآتية:

أولاً: النشأة والتعليم

وُلد تشارلز روبرت داروين في ١٢ فبراير ١٨٠٩ في شروزبري، إنجلترا، لعائلة ثرية ومثقفة. كان والده طبيبًا بارزًا، وجدّه عالم نبات، وقد أظهر داروين شغفًا بالطبيعة منذ صغره، حيث كان يقضي ساعات طويلة في جمع الحشرات ودراسة النباتات. في عام ١٨٢٥، التحق بجامعة إدنبرة لدراسة الطب، لكنه لم يكن مهتمًا بهذا المجال. لاحقًا، التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللاهوت، إلا أن شغفه بالعلوم الطبيعية كان أكبر.(١)

ثانياً: الرحلة على متن السفينة بيجل

في العام ١٨٣١، عُرض على داروين فرصة الانضمام إلى رحلة علمية على متن سفينة بيجل، وهي نقطة التحول الأهم في حياته. استغرقت الرحلة خمس سنوات (١٨٣١–١٨٣٦) قام خلالها بجمع عينات من النباتات والحيوانات في مناطق مختلفة، بما في ذلك جزر غالاباغوس. وقد لاحظ داروين تنوع الكائنات الحية وتكيّفها مع بيئاتها، مما أثار تساؤلات حول كيفية تطورها.(٢)

ثالثاً: نظرية التطور

بعد سنوات من البحث والتفكير، نشر داروين كتابه الشهير أصل الأنواع عام ١٨٥٩. في هذا الكتاب، قدم فكرة أن الأنواع تتطور بمرور الوقت من خلال عملية الانتخاب الطبيعي. أوضح أن الكائنات الحية التي تمتلك صفات مفيدة للبقاء والتكاثر تكون أكثر

---

(١) انظر: تشارلز داروين، حياته وخطاباته، ترجمة الزهراء سامي، مطبعة هنداوي ٢٠١٧م، ج١ صـ٣٥ وما بعدها

(٢) انظر: د/جوناثان ويلز، أيقونات التطور علم أم خرافة، ترجمة: د/موسى إدريس وآخرون، دار الكاتب، الطبعة الأولى ٢٠١٤ صـ١٢٦

احتمالًا لنقل تلك الصفات إلى الأجيال القادمة، وقد أثارت النظرية جدلًا كبيرًا بين العلماء ورجال الدين، لكنها أصبحت حجر الزاوية في علم الأحياء الحديث.(١)

رابعاً: حياته الشخصية ووفاته

تزوج داروين من ابنة عمه إيما ويدجوود عام ١٨٣٩، وأنجبا عشرة أطفال. عاش حياة هادئة نسبيًا في منزله في داون، حيث واصل أبحاثه وكتاباته.(٢)

توفي في ١٩ أبريل ١٨٨٢، ودُفن في وستمنستر آبي ببريطانيا، ويُعتبر تشارلز داروين رمزًا علميًا كبيراً، إذ غيّر فهم الكثيرين للطبيعة ودورهم فيها. أسهمت أفكاره في مناقشات كثيرة في علوم مختلفة مثل: علم الأحياء، والجيولوجيا، وعلم الوراثة.(٣)

وسنعرض في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى لبعض أقوال دارون تفصيلاً، وآراء من تبعه وآراء من اختلف معه.

(١) انظر: تشارلز دارون: أصل الأنواع ، ترجمة مجدي محمود المليجي ط: المجلس الأعلى للثقافة سنة٢٠٠٤م صـ٢٢

(٢) انظر: تشارلز دارون، حياته وخطاباته صـ٤٤ م س

(٣) انظر: تشارلز دارون، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، ترجمة: مجدي محمود المليجي، ط: المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٥م، ج٣ صـ٨٣

المطلب الثاني: التعريف بـ (هربرت سبنسر١٨٢٠-١٩٠٣)

يمكننا التعريف ب(هربرت سبنسر) من خلال النقاط التالية:

أولاً: مولده:

هربرت سبنسر، فيلسوف إنجليزي شهير، وُلد في ٢٧ أبريل ١٨٢٠م في مدينة دربي بإنجلترا، حيث بدأ حياته في منزل والده وليام جورج سبنسر، المعروف باسم جورج، وهو رجل ذو شخصية قوية وآراء تقدمية. كان والد سبنسر، الذي عمل مدرساً ومديراً لإحدى المدارس، متأثراً بأساليب التعليم التقدمي لجوهان هينريك بيستالوزي، وساهم في نقل ميوله النقدية ورفضه للسلطة إلى ابنه. هذه البيئة شكّلت شخصية سبنسر منذ الطفولة، وأثرت في مسيرته الفكرية لاحقاً.(١)

ثانياً: طفولة هربرت سبنسر

تميزت سنوات الطفولة الأولى لهربرت بمزيج من الوحدة والتأمل. كان الطفل الوحيد الذي نجا من بين إخوة وأخوات فقدتهم أسرته في سن مبكرة، مما عمّق لديه شعور الوحدة والاعتماد على الذات. قضى سبنسر طفولته في التنقل بين المدن بسبب الظروف الصحية لوالديه، واستغل هذه الفترات في استكشاف الطبيعة ورسم المناظر الطبيعية. ورغم أنه لم يكن متفوقاً دراسياً، إلا أنه أظهر موهبة استثنائية في الفنون والعلوم، مما لفت انتباه والده ومعلميه.(٢)

وفي سن الثالثة عشرة، انتقل هربرت إلى منزل عمه توماس سبنسر لتلقي تعليم مكثف في الرياضيات واللغات، حيث أثر هذا التعليم في تعزيز قدراته العقلية واستقلاليته الفكرية. ومع ذلك، لم يستطع هربرت التكيف مع أسلوب حياة عمه الصارم، مما دفعه

---

(١) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة صـ٢٠ م س

(٢) David Duncan, The life and letters of Herbert Spencer, p.٨ .نقلاً عن: تشارلز دارون، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي ج٣صـ٨٢ م س

إلى الهروب والعودة إلى منزل والديه. هذا الحدث شكل نقطة تحول في حياة سبنسر، حيث بدأ يعيد النظر في أهدافه ويظهر التزاماً أكبر تجاه تطوير ذاته.(١)

ثالثاً: بداية المسيرة المهنية

اختار سبنسر مهنة الهندسة المدنية في شبابه، بناءً على اقتراح من أحد أصدقائه، وعمل في مشاريع سكك الحديد، حيث أثبت كفاءته وأظهر براعة في ابتكار الأدوات الهندسية. ومع ذلك، لم تكن الهندسة سوى مرحلة مؤقتة في حياته، إذ كانت اهتماماته الفكرية تتجه نحو الفلسفة والكتابة. فقد ترك ترك عمله كمهندس ميكانيكي، وقرر أن يجرب حظه في الآداب، فاتجه جنوبا إلى لندن حيث حصل على منصب في هيأة تحرير مجلة الأكونومست " Economist (٢)وبالفعل فقد بدأ بنشر مقالات حول القضايا الاجتماعية والسياسية، ثم دعا إلى تقليص سلطة الدولة ودعم الحريات الفردية.

وفي عام ١٨٥٤ كتب مقالاً عن الجَمال قائلاً "إن الجمال شيء سطحي ما هو إلا قولٌ سطحي"(٣).

أي أنه لا يعتبر المظاهر التي اجتمعت عليها بيئته ومجتمعه أنها من مظاهر الجمال، أنها كذلك.

---

(١) انظر: ول ديورانت ، قصة الفلسفة من أفلاطون الى جون ديوي ، ترجمة د. فتح الله المشعشع ،مكتبة المعارف ، بيروت ،طبعة مجددة، ٢٠٠٤ ، صـ٢٧٨.

(٢) هنري توماس ، أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم ، ترجمة متري أمين، مؤسسة فرانكلين ، نيويورك ، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة ، ١٩٦٤ ،صـ٣٠٤

(٢) Brian Holmes, Herbert Spencer, international Bureau of Education,p.٦. نقلاً عن هنري توماس ، أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم صـ٣٠٥ م س

وفي العام ١٨٥٠م، نشر سبنسر كتابه الأول "الاستقرار الاجتماعي"، الذي حظي بشعبية كبيرة بين الأوساط الثورية. ناقش في هذا الكتاب أفكاره حول التطور الاجتماعي، متوقعاً أن يصبح البشر في المستقبل أكثر توافقاً مع متطلبات الحياة المجتمعية.(١)

رابعاً: نضج الفيلسوف

مع ازدياد شهرته، انضم سبنسر إلى دوائر المفكرين البارزين في لندن، حيث تعرّف على شخصيات مثل جون ستيوارت ميل وجورج هنري لويس، وقد تأثر ببعض أفكارهم، لكنه ظل محافظاً على استقلاليته الفكرية، معارضاً لبعض نظريات الفلسفة الوضعية لأوغست كونت.(٢)

خامساً: إرث سبنسر

تُعتبر مساهمات سبنسر في الفلسفة وعلم الاجتماع من بين الأكثر تأثيراً في القرن التاسع عشر. من خلال دمج نظرية التطور في السياق الاجتماعي والسياسي، أصبح من أبرز المفكرين الذين ساهموا في تشكيل الفكر الحديث. كتاباته مثل "الرجل ضد الدولة" و"أسس علم الاجتماع" تُعدّ مراجع أساسية في دراسة الفلسفة الليبرالية والتطور الاجتماعي.(٣)

(١) David Duncan, The life and letters of Herbert Spencer, p.٩ . نقلاً عن: تشارلز دارون، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي ج٣صـ٨٢ م س

(٢) انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة صـ٢١. م س

(٣) نفسه صـ٢٢ بتصرف كبير.

المطلب الثالث: التعريف بـ (ولتر ستيس)

يمكننا التعريف بـ(ولتر ستيس) من خلال النقاط التالية:[1]

أولاً: مولده:

وُلد (ولتر تيرينس ستيس) عام ١٨٨٦م في هامبستيد بلندن، وهو ينتمي إلى عائلةٍ عسكرية إنجليزية. تلقَّى تعليمه في كلية باث منذ عام ١٨٩٥م إلى عام ١٩٠١م، وكلية فيتس في اسكتلندا من عام ١٩٠٢م إلى عام ١٩٠٤م، ولاحقًا التحق بكلية ترينيتي في دبلن بأيرلندا. لم يَرغب في امتهانِ نفسِ مهنةِ عائلته، بل فضَّل أن يتَّبع مسارًا دينيًّا وفلسفيًّا؛ حيث كان يَنوي أن يصبح كاهنًا في الكنيسة الأنجليكانية، بعد أن شَهِد تحوُّلًا دينيًّا كبيرًا في سِن المراهَقة، لكنه أثناء وجوده في كلية ترينيتي تعمَّق في دراسة الفلسفة متأثرًا بأساتذته في الكلية، وتخرَّج فيها عامَ ١٩٠٨م، وحصل على درجة الدكتوراه في الأدب من الكلية نفسها عام ١٩٢٩م.

ثانياً: عمله

وبسبب ضغط الأسرة، انضمَّ إلى الخدمة المدنية البريطانية؛ فبين عامَي ١٩١٠م و١٩٣٢م التحق بالخدمة المدنية في سيلان (سريلانكا حاليًّا)، التي كانت آنَذاك جزءًا من الإمبراطورية البريطانية، وشغل عِدة مناصب في الحكومة السيلانية، من ضِمنها قاضي المقاطَعة في عام ١٩١٩م، وعُمدة كولومبو عاصمة سيلان في عام ١٩٣١م، ولا يزال هناك شارع يحمل اسمَه إلى الآن. بعد أن أنهى خدمتَه المدنية عام ١٩٣٢م، عُيِّن في جامعة برينستون في نيو جيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث عمل محاضرًا ثم أستاذًا في قسم الفلسفة، وظل يَشغل هذا المنصب إلى أن تَقاعَد في عام ١٩٥٥م، وحصل بعد ذلك على لقب الأستاذ الفخري.

---

(١) تاريخ الزيارة ٢٠٢٤/١١/٥م https://www.hindawi.org/contributors/٤٧٠٦٣٧١٩/

ثالثاً: مؤلفاته

من مُؤلَّفاته الفلسفية: (التاريخ النقدي للفلسفة اليونانية) و(فلسفة هيجل) و(معنى الجمال) و(مصير الرجل الغربي) و(الدِّين والعقل الحديث)

و(التصوف والفلسفة) و(مفهوم الأخلاق) و(تاريخ الفلسفة اليونانية)

رابعاً: وفاته

تُوفِّي (ولتر ستيس) في عام ١٩٦٧م إثرَ تعرُّضه لنوبةٍ قلبية في منزله، في لاجونا بيتش بكاليفورنيا.[١]

(١) تاريخ الزيارة ٥/١١/٢٠٢٤م https://www.hindawi.org/contributors/٤٧٠٦٣٧١٩/

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق عند أصحاب نظرية التطور

تقدم نظرية التطور تفسيرًا مادياً للأخلاق، من خلال دراسة تطورها في سياق التاريخ الطبيعي للبشر، كما يمكن فهم الأخلاق وفقًا لهذه النظرية على أنها سلوكيات أو قيم، تطورت عبر الزمن لتعزيز البقاء والتكاثر في البيئات الاجتماعية.

وقد اعتبر علماء نظرية التطور أن المفهوم الأساس للأخلاق هو نتاج للانتخاب الطبيعي، حيث تعتبر الأخلاق عندهم عبارة عن مجموعة من السلوكيات التي ساعدت الأفراد أو المجتمعات على التكيف مع بيئاتهم.

وقد فسر هؤلاء العلماء خُلق الإيثار المتبادل–على سبيل المثال– (أي تقديم المساعدة للآخرين على حساب مصلحة الفرد) كنمط من التعاون حيث يُكافَأ الفرد على المدى الطويل. مثلًا: "إذا ساعدتُك اليوم، ستساعدني غدًا". هذه السلوكيات تنتشر لأنها تزيد من فرص نجاح الأفراد المتعاونين.(١)

كما فسروا السلوك الأخلاقي تجاه الأقارب على أساس حماية الجينات المشتركة، ويعرف هذا بمفهوم "اختيار القرابة"، حيث يفسر لماذا يميل الناس لمساعدة أقاربهم. ومع تطور القدرات العقلية للبشر، أصبحت الأخلاق مرتبطة بالتعلم والثقافة، حيث تنتقل القيم الأخلاقية عبر الأجيال من خلال التربية والمجتمع.

ولكنا نجزم بأن الأخلاق لا يمكن اختزالها في آليات بيولوجية أو مادية فقط، بل تتطلب أبعادًا فطرية، ودينية، وروحية أعمق،

وهذا ما سنبينه في المطالب التالية –إن شاء الله تعالى–:

---

(١) انظر: تشارلز داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي–ترجمة مجدي محمود المليجي–المجلس الأعلى للثقافة ط١ ج١ ٢٠٠٥ صـ٣٩

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق عند داروين

يعتبر دارون من أبرز العلماء الذين زعموا تطورية الأخلاق، أو الفلسفة الأخلاقية، في القرن التاسع عشر، وهو رائد الأخلاق التطورية الحديثة.

فالأخلاق عند دارون تتطلب نوعاً من القدرة على التعامل مع المشاعر والأفعال، والشخص الأخلاقي هو الذي يعرف الفرق بين الصواب والخطأ ويسلك تبعاً لذلك(١)

وقد أشار دارون إلى أن الإنسان هو الوحيد الذي يتم تصنيفه على أنه كائن أخلاقي، كما يمكن وصف التصرفات بأنها أخلاقية، إذا قام بتنفيذها كائن أخلاقي، ولكي يكون الفعل أخلاقياً لابد أن يكون تلقائياً بدون أي تفكير(٢)

وقد فسر دارون كل شيء من الناحية البيولوجية باعتباره عالماً بيولوجياً، حتى الأخلاق فإن دارون يرى أن الارتقاء التدريجي للإنسانية لم يتضح في أي مجال بقدر اتضاحه في مجال الأخلاق، ويعتبر الأخلاق من من نتاج الطبيعة الإنسانية(٣)

رأى داروين أن المشكلة الأساسية في هذه الفكرة هي الطبيعة الأخلاقية العالية التي تبدو جلية في سلوك الإنسان. ولحل هذا اللغز، خصص داروين جزءاً كاملاً في كتابه (نشأة الإنسان) لشرح الحس الأخلاقي تطوُّرياً، وجادل بأنه تطوَّر في مرحلتين رئيستين:

الأولى: تكمن جذور الأخلاق عند الإنسان في غرائزه الاجتماعية(٤). ويفسر علماء الأحياء المعاصرون الأخلاق كالتالي: يمكن تعقُّب صفة الاجتماعية إلى الوراء عندما ابتكرت الطيور الحضانة والفقس ورعاية الذرية الصغيرة؛ ولإنجاب كائنات قادرة على

---

(١) Fritz Allhoff: Evolutionary Ethics From Darwin to Moore –University of California ٢٠٠٣-- تشارلز داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي صـ٣٩

(٢) انظر: روجر سكرتن: عن الطبيعة البشرية –ترجمة د/ رشا صادق ط المدى للنشر والتوزيع، سنة ٢٠٢٢م، صـ١٥٤

(٣) تشارلز داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي صـ٢٣٢ م.س.

(٤) نفسه صـ٢٨٥ .

تحمل المسؤوليات الوالِدية، لم تكن الآليات الاجتماعية ضرورية في مراحل التطور المبكرة. فمثلاً، لا الأميبا (التي تتكاثر بالانشطار)، ولا الضفدع (الذي يترك ذريته لتعتمد على نفسها) يحتاجان إلى الغرائز الاجتماعية التي تملكها الطيور؛ لكن في الوقت نفسه، ولتسهيل تنشئة الذرية، تعادل الغرائزُ الاجتماعيةُ العدائيةَ الفطرية؛ فقد صار ممكنا أن نميز بين "نحن" و"هُم" وإظهار العداء للأفراد الذين لا ينتمون إلى جماعتنا. من الواضح أن هذا السلوك تكيَّفَ لضمان بقاء عائلة الفرد(١)

الثانية: مع نمو القدرات الفكرية، صار البشر قادرين على التفكير في أعمالهم السابقة ودوافعهم، ومن ثم صاروا قادرين على تأييد أو رفض الآخرين، وكذلك تأييد أو رفض أنفسهم. أدَّى هذا إلى نمو الضمير الذي صار "المحكمة العُليا والمُرشد" لجميع الأفعال واعتقد دارون بأن مبدأ السعادة القصوى سيكون بلا شك هو المعيار للتمييز بين الصواب والخطأ (٢)

وهكذا يتبين أن الأخلاق والمعايير والقيم عند دارون، لا تُعطى من قِبل أي قوة خارقة للطبيعة (أي من عند الله سبحانه وتعالى) فقد تطورت جنباً إلى جنب مع احتياجات البشر، ويترتب على ذلك كون الأخلاق والقيم ليست مطلقة وإنما تتغير بحسب الضروريات الاجتماعية لحياة الإنسان، كما يتبين أيضاً أن الأخلاق عند دارون لم تكن هدفاً، ولكنها كانت وسيلة لإشباع الحاجات البيولوجية(٣)

---

(١) رمزي محمد: الأخلاق التطورية، مقدمة فلسفية، يوليو ١٤, ٢٠١٦ ، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/١١/٥ بتصرف.

(٢) نفسه، بتصرف.

(٣) حبيب مغلوب: إلى الوراء في نقد اتجاهات التقدم –دار الفارابي، بيروت ، لبنان– الطبعة الأولى ٢٠١٠م صـ١٦٠

بل ذكر الدكتور حبيب مغلوب أن الأخلاق عند دارون تقوم على الأنانية والصراع من أجل البقاء[١]

ويزداد الأمر وضوحاً عند دارون وتفسيره للأخلاق إذا نظرنا إلى آرائه التي دونها في مذكراته الخاصة حيث يقول (إن الإنسان الذي لا يؤمن بالله ولا بحياة بعد الموت يستطيع أن يتخذ قانونًا لحياته فقط باتباع البواعث ونداءات الغرائز الأقوى أو التي يشعر أنها الأفضل)[٢]

كما يتبين أن داروين عرض آراءه حول الأخلاق والقيم في مذكراته، وكتابه "نشأة الإنسان" مؤكدًا على أن الإنسان غير المؤمن بالله أو الحياة بعد الموت يمكنه أن يوجه حياته باتباع الغرائز الأقوى أو الأنسب. وهذا شكل انحرافًا عن الأسس الدينية للأخلاق، والتي تعتمد على الوحي الإلهي أو العقلانية. بينما حاول داروين التوفيق بين نظريته والأخلاق التقليدية عبر تأكيده أن الغرائز الاجتماعية والمشاعر الأخلاقية في الإنسان تتفوق على النزعات الأنانية.

وقد حاول داروين في كتابه "أصل الإنسان" إثبات أن السلوك الأخلاقي في البشر ليس فريدًا، بل يرتبط بغرائز اجتماعية مشتركة مع الحيوانات، ولكن هذه الغرائز تطورت عند الإنسان لتصبح أكثر تنظيمًا بفعل قدراته العقلية، وأدى ذلك إلى تقديم تفسير علمي للأخلاق قائم على الطبيعة، مع رفض أي قوانين أخلاقية ثابتة. كما قرر أيضاً في كتابه: أصل الأنواع قائلاً (أرى أن كل الكائنات لم توجد بخلق خاص لكل منها، بل هي ذرية تحدرت خطياً من عدد قليل من الكائنات الأخرى، التي عاشت في الزمن

(١) لمياء عز الدين عبد الحميد: موقف تشارلز دارون من الأخلاق صـ١٩٨ بتصرف.

(٢) Charles Darwin, Autobiography (New York: Norton, ١٩٦٩), ٩٤ نقلا عن : د. ريتشارد وايكارت ،من داروين إلى هتلر: الأخلاق التطورية واليوجينيا والعنصرية في ألمانيا ترجمة: جنات جمال – يسرا جلال الطبعة: الأولى – يناير ٢٠١٩ صـ٣٢٤

السحيق)[١]ويقول (أنا مقتنع بأن الانتخاب الطبيعي كان أهم طريقة لإحداث التغيير ولم يكن الأداة الوحيدة)[٢]

وبالطبع فإننا لن نجد إنساناً عاقلاً ينكر حقيقة التغير في الطبيعة، ولا حاجة لنا بداروين ليقنعنا بوجود مطلق التغير عبر الزمن، ولو كان معنى نظرية التطور هو مجرد وجود التغير مع مرور الزمن فقط، فلن نجد بين الناس من يجادل حول هذه النظرية مطلقاً، إذ لا أحد يعتقد بأن التطور الحيوي مجرد تغير بمرور الزمن فقط[٣]

من خلال ما سبق يتبين أن دارون يستمد رأيه في الأخلاق من نظرته التطورية، حيث ربط الأخلاق بالسلوك الاجتماعي الناتج عن الانتخاب الطبيعي. كما يرى داروين أن المشاعر الأخلاقية ليست فطرية تمامًا، بل تطورت تدريجيًا مع تطور الإنسان، وأن المجموعات التي تتعاون أعضاؤها وتظهر السلوك الأخلاقي كانت أكثر نجاحًا في البقاء على قيد الحياة، وقد اعتبر داروين أن التعاطف والرغبة في مساعدة الآخرين أساس الأخلاق، وأن هذه الصفات متجذرة في الغرائز الاجتماعية المشتركة بين البشر وبعض الحيوانات.

كما اعتبر دارون أن أحد أهم أسباب تطور الأخلاق هو الثقافة والتعليم، حيث ساعدت القيم المشتركة والتقاليد في تعزيز السلوك الأخلاقي. وباختصار، فإن دارون يرى أن الأخلاق ليست معطاة بشكل كامل، بل هي نتيجة تفاعل بين الغرائز الاجتماعية والتطور الثقافي والعقلي.

---

(١) تشارلز دارون: أصل الأنواع ، ترجمة مجدي محمود المليجي ط: المجلس الأعلى للثقافة سنة٢٠٠٤م صـ١٥٤ بتصرف

(٢) نفسه صـ١٥٥

(٣) جوناثان ويلز: أيقونات التطور علم أم خرافة ترجمة موسى إدريس وآخرون صـ٥ من كلام المقدم.

المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق عند سبنسر

تعامل هيربرت سبنسر، في فلسفته الأخلاقية التي عرفت بـ"النشوء والارتقاء"، مع الأخلاق بوصفها ظاهرة طبيعية خاضعة لقوانين التطور، وقد اعتبر أن الأخلاق جزء من النظام الكوني الذي يتطور باستمرار، وأن تطور الأخلاق مرتبط بتطور الأجزاء الأخرى في الكون. وبما أن الإنسانية جزء من هذا النظام الشمسي، فإن الأخلاق تتطور بمرور الزمن نتيجة تطور البشرية والمجتمع

وهو هنا يشير إلى مادية الأخلاق أيضاً، وأنها خاضعة للتطورات الحاجية للبشر، شأنها في ذلك شأن التطورات المادية لأخلاق الحيوانات، مهما اختلفت أنواعها وأجناسها، وأن الأخلاق عند البشر تتطور بحسب غرائزهم.

ويمكننا تحديد مفهوم الأخلاق عند سبنسر بشكل أوضح من خلال النقاط التالية:

أولاً: مفهوم السلوك الأخلاقي عند سبنسر

حدد سبنسر السلوك الأخلاقي بأنه: السلوك الذي يدعم حياة الفرد والمجتمع ويعزز تطورهما(١). أما السلوك غير الأخلاقي فهو السلوك الذي يعوق هذا التطور. ويرى سبنسر أن الأخلاق تتحقق عندما تسهم الأفعال في تحسين حياة الأفراد، ونسلهم، ومجتمعاتهم. ويؤكد أن "الخير الأخلاقي" يكمن في مسايرة الفرد لقوانين تطور الجماعة نحو الكمال، بحيث تتوافق تصرفاته مع البيئة المحيطة.(٢)

وتتناسب الأخلاق النظرية الموجودة عند سبنسر مع المذهب النفعي وتصوره للتطور. فالخير هو ما يجلب اللذة على المدى البعيد، والسعادة الكلية (اللذة) هي الهدف النهائي، والأخلاق هي علم السلوك، والسلوك هو توافق الأفعال مع الغايات

---

(١) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة،ترجمة محمود سيد أحمد ، طبعة التنوير ، بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م صـ٤٥٢.

(٢) انظر: (Herbert Spencer, The principle of ethics,. P.٦٤ نقلاً عن : جوناثان ويلز: أيقونات التطور صـ٣٥ م س

ثانياً: مستويات السلوك الأخلاقي

يرى سبنسر أننا نمر الآن–أي في زمنه– بتطور من حالة النضال إلى حالة التصنيع، فقد كانت المجتمعات الأولى بسيطة نسبياً ومسالمة، ودخلت القبائل في المرحلة التالية حالة من الرخاء تتطلب تنظيماً محورياً قوياً وحاكماً مستبداً، مع خضوع كل شخص وكل شيء للجيش، وقد تم التوصل حديثاً إلى عصر مسالم إذ حققت الصناعة والعمل التجاري الرخاء، وحصل الفرد على حرية أعظم وحقوق أعظم.(١)

ويمكن تصنيف السلوك الأخلاقي عند سبنسر إلى ثلاثة أنواع أساسية:(٢)

١. السلوكيات التي تساعد في الحفاظ على الذات: وهي السلوكيات التي تطورت لضمان بقاء الفرد على قيد الحياة.

٢. السلوكيات التي تحافظ على النسل: وهي السلوكيات التي تهدف إلى تربية الأبناء وضمان استمرار الأجيال القادمة.

٣. السلوكيات التي تدعم تطور حياة الآخرين: وهي السلوكيات التي تسهم في تحقيق التآلف والتناغم في المجتمع.

ونلاحظ من خلال هذه الأنواع الثلاث محاولة سبنسر إرجاع السلوك الأخلاقي إلى عوامل تطورية مادية، يعتريها النقص والتناقض، إذ لو سلمنا جدلاً بهذا التطور فيحق لنا أن نسأل: وماذا عن التضحية بالنفس من أجل بقاء الغير، كما يحدث في بعض المجتمعات الإنسانية،؟ هل من يضحي بنفسه من أجل غيره إنسان لم يتطور؟ بحسب كلام سبنسر؟! وسيأتي تحليل هذه الردود لاحقاً في مبحث النقد.

---

(١) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، صـ٤٥١ م س.

(٢) أبو بكر ذكرى، تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٦٥، صـ٤٣؛ وينظر: د. وسيم إبراهيم: الأخلاق والطبيعة الإنسانية، دار دمشق، دمشق، ط١، ١٩٩٥، صـ١٢٨.

ثالثاً: علم الأخلاق عند سبنسر

اعتبر سبنسر الأخلاق علمًا يرتبط بمبدأ السببية، حيث رأى أن النظريات الأخلاقية السابقة، مثل النظريات اللاهوتية والنفعية، أهملت الربط بين الأسباب والنتائج، ونحن قطعاً لا نسلّم بهذا، ببل العكس هو الصحيح، فإن التأصيل الديني لمسألة الأخلاق إنما جاء منطقياً إلى الحد الذي يختلف فيه اختلافاً فطرياً مع تقعيد سبنسر وغيره لمادية الأخلاق، وما جاء الدين إلا ليربط الأسباب بالنتائج والعمل بالجزاء، والدنيا بالآخرة.

أما عند سبنسر فيجب أن تمر الأخلاق بمراحل تطور مشابهة للعلوم الأخرى، بدءًا من الملاحظات والرصد وصولاً إلى القوانين العامة. كما يرى سبنسر أن علم الأخلاق يجب أن يشمل ستة جوانب مترابطة: الجسدي، والعقلي، والبيولوجي، والنفسي، والسياسي، والاجتماعي.[١]

وقد ربط سبنسر بين التربية والأخلاق، مؤكدًا أن الحفاظ على صحة الفرد وسلامته الجسدية يمثل أساس السلوك الأخلاقي. واعتبر أن هذا السلوك جزء من التربية الأخلاقية.

وبهذا ندرك أن سبنسر قد وضع الأخلاق على أسس علمية تقوم على مبدأ السببية، كما نقد جميع النظريات الأخلاقية المختلفة لأنها تتسم إما بالغياب التام لفكرة السببية، أو بالتقديم غير الملائم لها، كما لاحظ ذلك في النظريات سواء اللاهوتية، أو السياسية أو النفعية أو الحدسية،كونها لا تأخذ بفكرة السببية وتعاملوا مع الأسباب والنتائج على إنها ثانوية، فالمدرسة النفعية مثلاً لم تعمل على تشكيل أسلوب يبين العلاقة الضرورية بين الأسباب والنتائج. واستنتاج قوانين منها. إذ إن جميع العلوم تبدأ بتراكم المعلومات الناتجة عن عمليات الرصد، ومن ثم استخدام هذه المعلومات لوضع استنتاجات تستخدم

(١) انظر: هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين، دار الرافدين سنة ٢٠١٦ صـ٨٧

على المستوى التجريبي، إلا أن العلم لا يصبح علماً متطوراً إلا بعد أن يصل إلى مرحلة يتم فيها تضمين الاستنتاجات التجريبية عبارات عامة منطقية

رابعاً: العلاقة بين التطور الأخلاقي والتطور البيولوجي

أشار سبنسر إلى أن السلوك الإنساني يتكون من حركات متكاملة ومتناغمة، ووجد أن الكائنات الأكثر تطورًا تظهر قدرًا أكبر من الانسجام والدقة في سلوكها. وقد لاحظ أيضًا أن التوازن الحركي والسلوكي يكون أكثر استقرارًا لدى الكائنات ذات التطور العقلي والجسدي المتقدم، مما يساعدها على التكيف مع الظروف المختلفة.

كما اعتبر سبنسر أن التطور البيولوجي يلعب دورًا كبيرًا في تكوين السلوك الأخلاقي، حيث تُظهر الوظائف الحيوية توازنًا يتكيف مع الأنشطة التي تحافظ على الحياة –من وجهة نظره–، وأن المشاعر المرتبطة بالسلوك الأخلاقي تعزز هذا التوازن، حيث ترتبط المتعة بالمعدلات الطبيعية للوظائف الحيوية، بينما يرتبط الألم بالقصور أو الإفراط في هذه الوظائف.

من خلال ما سبق تبين أن سبنسر يؤمن بالنفعية التلذذية، وأن الحصول على اللذة وتجنب الألم، يقودان كل أفعال الإنسان. ومن هنا، فالخيرُ الأخلاقي يمكن أن يساوي تيسير حصول الإنسان على اللذة. كما يمكن الحصول على اللذة بطريقتين، الأولى: بإشباع الدوافع الذاتية، والثانية: بإشباع دوافع الآخرين.[١] وهذا يعني أن كلاً من أكْل الطعام وإعطائه الآخرين يجلبان السعادة للإنسان.

كما أصبحت رؤية سبنسر تعتبر تبريراً لبعض الأنظمة الاجتماعية الأكثر دناءة التي عرفها الإنسان، مثل النازية الألمانية. فقد وظَّف سبنسر الحقائق البيولوجية المزعومة (الصراع من أجل الوجود، الانتخاب الطبيعي، أو البقاء للأقوى) لوصف السلوك الأخلاقي، ورأى أن الكائنات البشرية تصارع من أجل الحياة، ومن أجل بذل أقصى

(١) انظر: رمزي محمد، الأخلاقيات التطورية، مقدمة فلسفية، م. س تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/١١/٢٢

الجهود للبقاء، سيكون ضرورياً أن يبقى الضعيف بلا مساعدة: يقول سبنسر "أن نساعد الضعيف ليتكاثر يعني أن نصنع للذين سيأتون من بعدنا العديد من الأعداء"(١)

فعلم الأخلاق من خلال المنظور أو الجانب المادي، والجانب البيولوجي، عند سبنسر هو: علم السلوك الذي يسلكه مجموعة من الأشخاص الذين يعيشون مع بعضهم في مجتمع واحد، بحيث يقوم كل واحد منهم بأداء أنشطة يومية لازمة لبقائه على قيد الحياة، وكذلك أداء أنشطة يتوجب القيام بها من أجل إعالة ذُريتهِ، أي القيام بالعمل وجلب الرزق، إلى جانب أنشطة يقوم بها الشخص من أجل تحقيق سعادة للآخرين وتأتي بطريقة عفوية.

١)(Herbert Spencer, The principle of ethics,. P.٧٣ نقلاً عن: جوناثان ويلز: أيقونات التطور صـ٨٨ م س

المطلب الثالث: مفهوم الأخلاق عند ولتر ستيس

يرى ستيس أن أسس الأخلاق ظهرت في العصور المبكرة على أساس أنها تقوم على الدين، ويقول: (لقد ظهرت هذه النظرة بالطبع، من الناحية التاريخية، في صور مختلفة ومنوعة، تبعاً لمعتقدات الناس الدينية، وتبعاً لتحضرهم أو تخلفهم النسبي، ولقد كانت صورتها الساذجة جداً تقوم على أساس الاعتقاد بان ما هو صواب أو خطأ تحدده ببساطة إرادة الله)(١)!

ولا يمكننا أن نترك هذه الحملة دون تعقيب ونقد حتى ولو كان النقد سيأتي متأخراً، إذ كيف لعالم بحق، يتخلق بمبادئ العلم، أن يتهم القول بإلهية الأخلاق مهما اختلفت طرائق الاعتقاد عند البشر أن يصفها بالساذجة لأنها إلهية؟! وهل ما أصّله ستيس ومن سبقه من أصحاب نظرية التطور عاد على البشرية بنفع حقيقي؟! أم أن نفيهم للإله وما جاء عنه أنتج مجتمعات ترى الإباحية والفجور والزندقة وسوء الأخلاق حضارة وتقدماً، وهل إذا أردنا أن نؤمن بنظريتهم أن نتخيل أن أي شيء يعود علي الفرد باللذة فهو مباح له، ويضربون على ذلك أمثلة كثيرة، وأريد أن نضرب نحن مثلاً أيضاَ: إذا كانت متعتى أن أرى دماء بشرية تسيل، أو أشلاء إنسان ممزقة –والعياذ بالله– فهل حينئذ يباح لي أن أتلذذ بقتل إنسان لأرى دماءه ؟!! وهل إذا أردنا شيئاً هو في الحقيقة ملك لغيرنا أن نأخذه عنوة لأننا نرى فيه متعتنا؟! ولنا أن نقيس كل الرغبات الإنسانية والشهوات البشرية على ذلك لنرى أن هذا الكلام يؤدي إلى مجتمعات حيوانية، القوي يأكل الضعيف والكل يقف موقف المتفرج، يتلذذ بذلك، إن هذه الآراء وأمثالها كفيلة بخلق مجتمعات متوحشة منحدرة، لا إنسانية فيها ولا رحمة، بل الحيوانية فحسب، فأي مجتمع أو فرد عاقل يرضى لنفسه أو لغيره هذا؟! ثم يتطاول هؤلاء على الذات الإلهية وما جاء عنها من أخلاق

(١) ولتر ستيس: الدين والعقل الحديث: ترجمة د/إمام عبدالفتاح إمام، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م. صـ ٢٩٨

تضبط الغرائز وتنظم المجتمعات وتنفعهم في عاجل أمرهم وآجله، فيصفون ذلك بالسفاحة والسذاجة؟ فأي الفريقين أهدى سبيلاً؟

ثم يتساءل ستيس أنه إذا كانت الأخلاق ذاتية، ألا تكون بالضرورة في هذه الحالة نسبية ؟ يقول ستيس " إن الضرورة الظاهرة للانتقال من الذاتية إلي النسبية تكمن في ملاحظة أن جميع الموجودات البشرية ليس لها نفس الأغراض ، وأن الأغراض تختلف من شخص إلي آخر، أو من مجتمع إلي مجتمع . فلو أننا عرفنا الخير بأنه ما يسر الناس أو يخدم أغراضهم أو يقفون تجاهه موقف حب أو استحسان ، فسوف ينتج بالضرورة أن يبدو الفعل الواحد أو الشيء الواحد خيرا عند شخص ، شراً عند شخص آخر تبعا لمواقفهم أو ما يشتهون .. بل إن ما هو حق أو صواب عند شخص سيكون بالفعل خطا عند آخر، فالرق كان صوابا في العالم القديم لان القدماء استحسنوه ، رغم انه – بغير شك – خطا بالنسبة لنا لأننا نستهجنه".(١)

ويدرك أصحاب المذهب الأخلاقي المطلق – باعتبار ذلك حقيقة – أن العادات الأخلاقية والأفكار الأخلاقية تختلف من بلد لآخر، ومن عصر لآخر، وهذا يبدو بالفعل واضحاً، ولا يجب الجدال فيه. فنحن نعتقد أن الاستعباد خطأ أخلاقياً، بينما رأى الإغريق أنه لا اعتراض عليه أخلاقياً. وسكان نيوجينيا لهم أفكارهم الأخلاقية المختلفة عن أفكارنا ولكن الإغريق أو سكان نيوجينيا يعتقدون أن ثمة شيء حق لا يجعله حقا حتى بالنسبة لهم . ولا حقيقة أننا نعتقد أن ذات الأشياء خطأ تجعلها خطأ، أنها في ذاتها إما حق أو خطأ، وما علينا أن نفعله هو اكتشاف ماهيتها فما يعتقده أي فرد لا يصنع فارقاً (أي ليس له أهمية أو تأثير) ، إنها تشبه تماما أمور العلم المادي أو الطبيعي . نحن نعتقد أن الأرض كرة، أسلافنا قد اعتقدوا أنها منبسطة ، هذا لا يوضح أنها كانت منبسطة ،

(١) المرجع السابق صـ ٢٩٩ – ٣٠٠

وأنها الآن كرة ، ما يوضحه أن الناس في عصور أخري كانوا علي جهل بخصوص شكل الأرض ، ولم يعلموا الحقيقة.(١)

واتساقاً مع ما سبق يري ستيس " انه ليس في استطاعتنا أن نقول بناء علي هذا الأساس أن مجموعة معينة من الأفكار الأخلاقية أفضل من مجموعة أخري، بل كل ما نستطيع قوله هو أنها تختلف عنها فحسب، لأنه بالنسبة للمجتمع الذي يستحسن المعيار الأخلاقي الذي ينادى (العين بالعين) لم يكن يعتقد أن المعيار صواب ، بل كان المعيار صوابا بالفعل ، لقد كان صواباً بالضبط علي نحو ما يكون المعيار المسيحي صوابا بين المسيحية الآن "(٢)

لاشك أن مشكلة (المبادئ الأخلاقية) هي من أهم المشاكل التي تواجه ستيس بل هي المشكلة الأولي ، خاصة وأن كلمة " المبادئ "تشير في كثير من الأحيان إلي معاني الضرورة والكلية والثبات والإطلاق ...الخ . والواقع أنه كثيراً ما يقال أن العصر الذي نعيش فيه لم يعد عصر مبادئ أخلاقية مطلقة، وقيم أزلية ثابتة ، بل أصبح عصر مرونة وتساهل ونسبية . وإذا ربطنا الظاهرة الأخلاقية بعجلة التغير الاجتماعي ، وإذا سلمنا مع بعض رجال الأخلاق والقانون بضرورة اصطناع ضرب من المرونة في الحكم علي شتى أنماط السلوك الفردي، فإننا قد نجد أنفسنا مدفوعين إلي دفع كل القيم الأخلاقية بطابع النسبية(٣)

والنسبية الأخلاقية من الإشكاليات الفلسفية التي انتشرت بشكل واسع في عصرنا ، ويهتم بها فلاسفة الاتجاه اليساري المتطرف ، في حين يهتم الاتجاه اليميني بالأخلاق المطلقة، يقول ستيس:"هناك رأي شائع علي نطاق واسع في أيامنا هذه في الدوائر

(١) ولتر ستيس . الدين والعقل الحديث صـ ٢٩٩.

(٢) نفسه صـ ٣٠٠، ٣٠١ .

(٣) د: زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية: من سلسلة مشكلات فلسفية (٦)، مكتبة مصر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ . صـ ٦٠.

الفلسفية يتجه إلي النسبية الأخلاقية ، وما تنطوي عليه تلك العبارة بالتأكيد غير واضح إلي حد بعيد ، إلا انه بلا جدال يبقي باعتباره سمة لأراء مجموعة من فلاسفة الأخلاق ... وأصحاب الاتجاه اليساري هم أصحاب مذهب النسبية الأخلاقية .. أما أصحاب الاتجاه اليميني يمكننا تسميتهم بأصحاب مذهب الأخلاق المطلقة .[١]

فقد كانت مهمة الفلسفة الأخلاقية بعد سقراط أن تقيم الأخلاق علي أساس رياضي مطلق وثابت ، وقد بدأ سقراط هذه المحاولة بعد أن وصلت المدرسة السوفسطائية بنتائج الخبرة العملية أي الخط الواقعي إلي نتائجه الضرورية ، منكرة كل ما وصل إليه الإنسان من ميثولوجيا وأرواح وآلهة وقرابين وحياة أخري . وأكدت السوفسطائية علي أن أخلاقنا وتشريعاتنا وضعية وعرفية وان أفكارنا نسبية متغيرة وشرطية ، أي تعتمد علي الظروف وتتغير بتغيرها.[٢]

اعتقد ستيس أن ثورة النسبيين ضد أصحاب مذهب الأخلاق المطلقة جزء من الاتجاه الثوري العام لعصرنا . وبصفة خاصة هو نتاج اضمحلال الإيمان بعقائد الدين الأرثوذكسي ، والإيمان بالتوحيد المسيحي هو دعم للإيمان بالأخلاق المطلقة ... ويؤكد النسبييون أنه لا يوجد قانون أخلاقي واحد آخر ولا قاعدة أخلاقية واحدة ولا مقياس واحد فحسب ، بل توجد قوانين وقواعد ومقاييس أخلاقية عديدة . فما تتطلبه الفضيلة في مكان واحد أو عصر واحد قد يختلف تماما عما تتطلبه الفضيلة في مكان أو عصر آخر . أن القانون أو النظام الأخلاقي للمواطن الصيني يختلف عنه تماما بالنسبة للأوروبيين ،وقانون الأفارقة الهمج يختلف عن كلاهما ، لذلك فان أي فضيلة نسبية بالنسبة للعصر والمكان والظروف التي تتواجد فيها. فالنسبييون الحقيقيون لا يقصدون فحسب أن المواطن

---

(١) W.T.Stace ; The concept of Morals , p ١ . نقلاً عن د: زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية: من سلسلة مشكلات فلسفية صـ٥٥

(٢) د.حسام الآلوسي : التطور والنسبية الأخلاقية ، دار الطليعة . بيروت . ط١ . ١٩٨٩ . صـ ٨٤ .

الصيني قد يري ما يراه المواطن الفرنسي أنه حق . أنهم يقصدون أن ما هو خطأ عند الفرنسي قد يكون حقا عند الصيني . وفي هذه الإشكالية : لو تسأل فرداً كيف يتعين علي الفرد أن يعرف ما هو في الواقع حق في الصين أو في فرنسا ، تأتي الإجابة بشكل ارتجالي تماماً، ما هو حق عند الصيني هو نفس الشيء كما يعتقده الناس حقاً في الصين ، وما هو حق عند الفرنسي هو بالضبط ما يعتقده الناس حقاً في فرنسا ، لذلك إذا أردت أن تعرف ما هو أخلاقي في أي بلد معين أو عصر معين ، فكل ما عليك أن تقوم به هو التحقق من الأفكار الأخلاقية السائدة في هذا البلد أو العصر[١]

وينتهي ستيس إلي القول :" أن المؤمن بالنسبية الأخلاقية ينكر كل ما يؤيده المؤمن بالأخلاقية المطلقة . فعند الاطلاقي توجد قاعدة أو مقياس أخلاقي كوني واحد ، وعند النسبي لا يوجد مثل هذا المقياس أو المعيار. بل توجد فقط مقاييس أو معايير محلية متغيرة[٢]

وإذا كان الأمر كذلك وكان الذي يؤمن بأن الأخلاق نظام مطلق مصدره إلهي عنده قاعدة واضحة وثابتة وراسخة، والذي يؤمن بنسبية الأخلاق مشتت له معايير متناقضة ومختلفة، فلما لا نتبع صاحب المقياس الرشيد، والمعاير الواضح **{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**[٣]

(١) محمد عبدالحفيظ: إشكالية الأخلاق عند ولتر ستيس: بدون ط، صـ٧٠ وما بعدها بتصرف.

(٢) نفسه صـ٧٥

(٣) سورة الملك: آية (٢٢)

المطلب الرابع: نسبية الأخلاق عند علماء التطور

أود في هذا المطلب طرح تساؤل يبين ما يرمي إليه علماء التطور بالبحث في علم الأخلاق، من وجهة نظر بيولوجية، وهو: هل يمكن أن تكون الأخلاق نسبية، ومبنية فقط على ما يخدم البقاء؟ أم أن هناك معايير أخلاقية أسمى، ومستقلة عن السياقات البيولوجية؟

يقول ادوارد كلود[١] (ما كان وربما لن يكون هناك مقياس واحد ثابت للصحيح والخطأ، وصالح لكل زمان ولجميع الناس)[٢]

ومعنى هذا الكلام أن الأخلاق نسبية تماماً، وهو ما يخالف أبسط قواعد البحث العلمي، إذ إن المراد بالنسبي ما يقبل الاختلاف والتغيير وليس مقدساً، أما المطلق فهو الثابت الذي لا يقبل الاختلاف والتغيير. ومعنى قولهم بنسبية الأخلاق: نشر أي خلق يحقق اللذة كالإباحية، والخلاعة، والفسوق.. كما ينتج أيضاً عن القول بنسبية الأخلاق عدم احترام المصلحين، وتكذيب الأنبياء والمرسلين.

يقول وليم جيمس: (إنه لا يمكن أن يكون هناك حق مطلق في الأحكام الخلقية، كما أنه ليس هناك حق مطلق في المسائل الطبيعية حتى ينقرض ذلك النوع الإنساني

---

(١) إدوارد كلود سيلي هو سياسي كندي، ولد في ٢٥مايو ١٨٨٤ م في كندا، وتوفي في ٢٥سبتمبر ١٩٦٩ م وهو أحد علماء نظرية التطور نشط حزبياً في الحزب التقدمي المحافظ في نيو برونزويك وقد انتخب عضو الجمعية التشريعية لنيو برونزويك (راجع: شبكة المعلومات ويكبيديا: رابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D

(٢) د/حسام محي الدين الآلوسي: التطور والنسبية في الأخلاق، دار الطليعة للنشر، بيروت، الطبعة الأولى ديسمبر ١٩٨٩ م صـ١٢٦

وتنتهي أفعاله وتصرفاته)[١]. ويقول ويست مارك: (الطبيعة لا تمدنا بأي مقياس بواسطته نحكم على السلوك)[٢]

ويقول ديوي: (إن ما يزعمه الناس من أن الأخلاق تقتضي مبادئ ثابتة لا تتغير على مر الزمان، ومعايير ومقاييس وغايات ثابتة، بوصفها أنها الحماية الوحيدة الأكيدة التي تصون الأخلاق من الفوضى – هذا الزعم لم يعد في استطاعته أن يتجه الآن إلى العلم الطبيعي يلتمس منه التأييد، ولم يعد يتوقع أنه يستطيع أن يبرر على أساس العلم إعفاءه الأخلاق من اعتبارات الزمان والمكان، أي إعفائها من عملية التغير[٣] ويقول أندريه كريسون: لو أن القائلين بالضمير – الفطري – أصابوا الحقيقة لما احتيج إلى عرض مسألة الأخلاق على بساط البحث.[٤]

من خلال ما سبق يتبين أن: النسبية الأخلاقية عند علماء التطور، تقوم على فكرة أن القيم الأخلاقية ليست مطلقة أو عالمية، بل تتغير حسب الظروف البيئية والثقافية، فما يُعتبر "صوابًا" في سياق معين قد لا يكون كذلك في سياق آخر. فعلى سبيل المثال: قد يكون التعاون والتسامح والود والحب قيمًا محورية في المجتمعات المستقرة، بينما قد تظهر قيم مثل المنافسة أو العدوانية أو البغضاء والجفاء في بيئات تتسم بالندرة والصراع! متغافلين أن ربط القيم الأخلاقية بالتطور البيولوجي، قد يؤدي إلى فقدان المعايير الأخلاقية الثابتة، مما يضعف قدرة المجتمعات على مواجهة القضايا الإنسانية الكبرى. كما أن اختزال الأخلاق في إطار بيولوجي يُغفل الأبعاد الروحية والدينية التي تُعتبر جزءًا أساسيًا من الحياة الإنسانية.

---

(١) وليم جيمس: إرادة الاعتقاد، ترجمة محمود حسب الله ، القاهرة ١٩٤٦م. صـ٧٩

(٢) د/حسام محي الدين الآلوسي: التطور والنسبية في الأخلاق صـ١٢٦م س

(٣) جون ديوي: تجديد في الفلسفة، ترجمة أمين مرسي قنديل، مكتبة الأنجلو المصرية; القاهرة ١٩٤٨ صـ١٩-٢٠

(٤) د/حسام محي الدين الآلوسي: التطور والنسبية في الأخلاق صـ١٢٧ م س

ويمكننا أن نستخدم نفس المعيار الذي استخدمه (أندريه كريسون) فنقول: لو أن القائلين بنسبية الأخلاق أصابوا الحقيقة لما احتيج إلى عرض مسألة الأخلاق على بساط البحث، ولكنا سندخل بذلك في سفسطة لا طائل من ورائها، وجدال دون جدوى، فالأفضل أن نحلل وننقد في المباحث التالية، بما يتفق مع مبادئ البحث العلمي، الذي يبنى على بيان الحق، والحرص على نفع الإنسانية بصدق وإخلاص.

المبحث الثالث: نقد البعد الأخلاقي لنظرية التطور

المطلب الأول: نقد مفهوم الأخلاق عند علماء التطور

إن الأخلاق في الإسلام تُبنى على أسس إلهية، فالله سبحانه وتعالى هو مصدر القيم والمعايير الأخلاقية. قال تعالى "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"(١) ، مما يشير إلى أن القرآن يقدم النظام الأخلاقي الأكثر استقامة وعدلاً.كما أن الأخلاق مستمدة من أسماء الله تعالى وصفاته، مثل العدل، الرحمة، والكرم. قال تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم)(٢)، وهو وصف للنبي ﷺ بأن أخلاقه كانت انعكاسًا للتعاليم الإلهية. أما النظرة التطورية فتعتبر الأخلاق تطورًا طبيعيًا لخدمة احتياجات البقاء. لكن إذا كانت الأخلاق نتاجًا للانتقاء الطبيعي فقط، فكيف يمكن تفسير القيم المطلقة مثل العدل، والرحمة، والصدق، والإخلاص، والتي قد لا تكون لها فوائد بيولوجية مباشرة؟ الإسلام يقدم تفسيرًا أشمل؛ وأعم وأنفع حيث يُعدّ هذه القيم قيماً مطلقة مرتبطة بالوحي الإلهي وليس مجرد وسيلة للبقاء.

كما أن الإسلام يرى أن الأخلاق جزء من الفطرة التي فطر الله الناس عليها. قال تعالى "فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"(٣) ومعنى هذا أن القيم الأخلاقية مغروسة في طبيعة الإنسان، وليست نتيجة تطور بيولوجي. ويقول النبي ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٤)، مما يوضح أن الأخلاق جزء من الرسالة الإلهية، وأنها ليست مكتسبة بالتطور الطبيعي؛ بل جاءت لتكتمل بالوحي.

---

(١) سورة الإسراء: ٩

(٢) سورة القلم: ٤

(٣) سورة الروم: ٣٠

(٤) سبق تخريجه

أما إذا كانت الأخلاق نتاجاً تطورياً –كما يزعم أتباع نظرية التطور–، فكيف نفسر التشابه الأخلاقي بين المجتمعات المختلفة في القيم الأساسية مثل الصدق والإيثار؟ أما الإسلام فيرى أن هذا التشابه ناتج عن الفطرة التي فطرها الله تعالى في الإنسان، وليس نتيجة للانتقاء الطبيعي.

كما يتجلى عوار المفهوم الخاطئ للأخلاق وفقاً لنظرية التطور في عجزهم التام عن تفسير السلوكيات التي تتعارض مع مصلحة الفرد، مثل التضحية بالنفس في سبيل قضية سامية.

لكن الإسلام يبين أن الإيثار والتضحية تكون من أجل الاعتقاد، ولها ثوابها إذا كانت في سبيل الله تعالى، ولذلك من اليسير أن نفسر معنى قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)[1] أن الله تعالى يثني على الذين يفضلون الآخرين على أنفسهم رغم حاجتهم. ومن اليسير أيضاً أن نفهم قصة سيدنا الصحابة الكرام الذين قدّم لهم الماء ليشربوا الماء فكل واحد يؤثر أخاه حتى ماتوا جميعاً ولم يشرب واحد منهم ، فقد روى ابن كثير في البداية والنهاية قائلاً:

(في غزوة اليرموك قال عكرمة بن أبي جهل: قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن وأفرُّ منكم اليوم؟! ثمَّ نادى: مَن يبايع على الموت؟ فبايعه عمُّه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة مِن وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدَّام فسطاط خالد حتى أُثْبِتُوا جميعًا جراحًا، وقُتِل منهم خلقٌ، منهم ضرار بن الأزور –رضي الله عنهم–... فلمَّا صرعوا مِن الجراح استسقوا ماء، فجيء إليهم بشربة ماء، فلمَّا قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه. فلما دُفِعَت إليه نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها

(١) سورة الحشر:٩

إليه. فتدافعوها كلُّهم –مِن واحد إلى واحد– حتى ماتوا جميعًا ولم يشربها أحد منهم – رضي الله عنهم– أجمعين) [١] ، وهذا تجسيد للإيثار الذي لا يمكن تفسيره ماديًا.

إن الدليل الحقيقي على نظرية التطور هزيل في أحسن أحواله وخصوصاً الادعاء الأساسي بأن الانتخاب الطبيعي هو القوة المحركة للتطور؛ ولذا فإن بناء علم النفس التطوري على قواعد نظرية التطور كمن يبني بيتاً من ورق على قلعة من رمل.

ومشكلة أخرى تواجه التطوريين أيضاً هي عدم اتساق فهمهم للأخلاق مع حقائق الحياة الأخلاقية. حيث تكمن الصعوبة في الأخلاقيات التقليدية في مواجهة مشكلة الخير. وتعتبر النظرية التطورية الفائدة الإنجابية أصل الأخلاق مع إمكانية قيام الناس بأعمال خيرية لا يمكن تبريرها بالمنطق التطوري. لا يقتصر الإيثار –كممارسة بشرية– على الأفراد داخل المجموعات التي ينتمي لها الشخص جينياً، ولا يقتصر الإيثار خارج الجماعة على مسألة نفعية متبادلة، بل يسمو البشر غالباً فوق منافعهم التكاثرية –سواء جيناتهم الشخصية أو جينات أقاربهم.

وهناك بُعد في غاية الدقة، وهو الإلزام الأخلاقي، وارتباطه بيوم القيامة، فالإسلام يبين أن الأخلاق ليست اختيارية، بل هناك إلزام أخلاقي مرتبط بالإيمان بيوم الحساب، قال تعالى **{فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره}**[٢] فالأخلاق في الإسلام تُلزم الإنسان بتحمل مسؤولية أفعاله أمام الله سبحانه وتعالى. أما علماء التطور فهم لا يقدمون سببًا للإلزام الأخلاقي. فإذا كانت الأخلاق وسيلة للبقاء فقط، فما الذي يمنع الإنسان من انتهاكها إذا كان ذلك يخدم مصلحته الشخصية؟ الإسلام يحل هذه الإشكالية من خلال ربط الأخلاق بالإيمان بالله تعالى ويوم الحساب.

---

(١) سورة الزلزلة :٧–٨

(٢) سبق تخريجه.

ناهيك عن البعد الروحي للأخلاق، والذي يبينه الإسلام بأن الإنسان مخلوق من روح وجسد وأن الأخلاق والإيمان غذاء الروح كما أن الطعام والشراب غذاء الجسد، مع إغفال أهل التطور التام للجانب الروحي للإنسان، بل وإنكاره أحياناً مما يجعل المجتمع البشري يعاني من أمراض الروح والنفس.

وفي الحقيقة لقد أصبح جلياً أن أول نتائج هذه النظرية زلزلة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ودعم الإلحاد والتنكر للإله الخالق الحكيم، ثم زلزلة الإيمان بالإنسانية والإنسان، ورفعته وسموه وروحانيته، ثم زلزلة الإيمان بثبات أي نظام من النظم، أو قيمة من القيم، أو فكرة من الأفكار، وتحطيم كل بنيان راسخ الأساس. وهي نظرية قاصرة عن تفسير القيم الأخلاقية بشكل شامل، لأنها تفسرها كمجرد أدوات بيولوجية للتكيف والبقاء. أما الإسلام فعلى العكس، يقدم نظامًا أخلاقيًا متكاملاً مبنيًا على الفطرة، والوحي، والإيمان بالله تعالى مع انسجام تام لما جاء به جميع الأنبياء والمرسلين من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فجاءت الأخلاق الإسلامية مرتبطة بالغاية الكبرى للحياة، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى والسعي إلى تحقيق السعادة الأبدية، مما يجعلها نظامًا ساميًا يتجاوز المادية الضيقة التي تروج لها النظرة التطورية.

المطلب الثاني: نقد مفهوم نسبية الأخلاق

قلنا سابقاً أن نسبية الأخلاق التي يتبناها بعض علماء التطور تعتمد على الفكرة القائلة بأن الأخلاق ليست ثابتة أو موضوعية، بل تتغير بحسب الظروف الثقافية والاجتماعية والبيئية. والإسلام يرفض هذه الفكرة بشكل قاطع، ويؤكد على أن الأخلاق لها أساس ثابت ومطلق يستمد من الوحي الإلهي. وفيما يلي نختصر هذه السمات الإسلامية في بيان بطلان القول بنسبية الأخلاق

أولاً: المعايير الأخلاقية لا تتغير بتغير الأزمان:

الإسلام يقرر أن القيم الأساسية كالأمانة والعدل والصدق ثابتة في كل زمان ومكان. يقول الله تعالى:

"وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا"(١) وهذا يؤكد أن الأخلاق الإلهية صادقة وعادلة، ولا تتغير بتغير الظروف.

ثانياً: الإشكال في نسبية الأخلاق:

إذا كانت الأخلاق نسبية كما يدعي البعض، فهذا يؤدي إلى الفوضى وعدم وجود معيار يمكن الاحتكام إليه. على سبيل المثال: هل يمكن تبرير القتل أو السرقة لأن بيئة معينة تقبلها؟ أو الكذب، والغش، والخداع؟ إذاً نسبية الأخلاق، تبرر الظلم، والرذيلة، والإباحية، والزنا، والربا، إذا كان "مقبولًا اجتماعيًا"، وهذا ينافي العقل والمنطق.

ثالثاً: الأخلاق ليست منتجًا للتطور:

علماء التطور يعتبرون أن الأخلاق نتاج تطور مجتمعي، يساعد على البقاء، لكن الإسلام ينظر إلى الأخلاق باعتبارها جزءًا من التكليف الإلهي. يقول الله تعالى: "وَمَا

(١) سورة الأنعام: ١١٥

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[١] والعبادة تشمل الالتزام بالقيم الأخلاقية التي حددها الشرع.

رابعاً: العقل وحده لا يكفي لضبط الأخلاق:

الفلاسفة الملحدون وعلماء التطور يعتمدون على العقل لتحديد الأخلاق، وياليتهم يعتمدون على عقل رجيح، ومنطق سليم، لكن للأسف يعتمدون على عقل تتحكم فيه الشهوات والنزعات والرغبات، والموروثات البيئية التي أرادوا الخروج من ربقتها، أو تكييفها بشكل معين، لكن الإسلام يقر بأن العقل أداة عظيمة، لكنه قاصر عن إدراك كل الأمور وحده. لذا جاء الوحي لتكميل العقل وتوجيهه.

يقول الله تعالى: ﴿إِنّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢]

خامساً: التناقض في مفهوم النسبية الأخلاقية:

إذا كانت الأخلاق نسبية، فلماذا يدين البعض أفعال مثل الحروب، والقتل الجماعي، إذا كانت مقبولة لدى بعض المجتمعات؟ هذا تناقض صريح في الفكر النسبي.

بالإضافة إلى أن الحكمة من الأخلاق ثابتة أيضاً، وهي النفع العام للإنسانية وعمارة الكون وتحقيق العبادة في الأرض

سادساً: الأخلاق ثابتة بوحي إلهي:

فالإسلام يعتبر أن مصدر الأخلاق هو الله عز وجل، فهو الذي أمر بالعدل والإحسان ونهى عن الفحشاء والمنكر. يقول الله تعالى: **{**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[٣] **و**هذا يثبت أن الأخلاق ليست خاضعة للبيئة أو التطور البشري، بل هي أوامر إلهية مطلقة.

---

(١) سورة الذاريات:٥٦

(٢) سورة الإسراء: ٩

(٣) سورة النحل: ٩٠

سابعاً: فكرة الفطرة:

الإسلام يقر بأن الأخلاق جزء من فطرة الإنسان. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[1]

هذا يعني أن القيم الأخلاقية مثل: الصدق والأمانة موجودة في النفس البشرية بشكل غريزي، وليست مكتسبة فقط من البيئة.

وبذلك يتبين أن: الأخلاق في الإسلام ليست نسبية، أو قابلة للتغيير بتغير الظروف؛ بل هي قيم ثابتة مستمدة من الوحي الإلهي، ومبنية على الفطرة السليمة والعقل السوي، وتستهدف تحقيق العدالة والرحمة في المجتمع.

(١) صحيح: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه،ط: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ (١٣٨٥)(٢/١٠٠)

المطلب الثالث: نقد مفهوم الانتخاب الطبيعي (البقاء للأقوى)

آثرت في كتابة عنوان هذا المطلب الوجه الحقيقي لمراد التطوريين، فهم يزعمون أن الانتخاب الطبيعي معناه (البقاء للأصلح) لكن التعبير الصحيح لمرادهم هو (البقاء للأقوى) إذ لو ناقشناهم بنفس مقاييس نظرية التطور التي يؤمنون بها ويدعون إليها لقلنا: من وجهة نظركم ما هو معيار (الأصلح) حتى يستحق البقاء؟ ولنا أيضاً أن نجادلكم فنقول بنفس مقاييسكم : وهذه المعايير نسبية أيضاً، ولكن عندما سقنا ما قرروه في نسبية الأخلاق ومفهوم التطور اتضح أنهم يعنون (البقاء للأقوى) وهو ترسيخ واضح لقانون الغاب، والعمل على إبادة شعوب كاملة وأمم تأخرت حضارياً شأنها في ذلك شأن أي شعب أو حضارة في حقبة زمنية معينة، فاليوم قد يكونوا في تأخر، وغداً ينهضون ويتقدمون، لكن القائلين بالتطور لا رحمة عندهم بل يجب أن تظل الهيمنة والسيطرة في يد الأقوى، أما الضعيف فلا مكان له في هذا العالم. والآن نسأل: هل هذه معايير علمية؟ هل هذه مقاييس حضارية؟ هل هذه إنسانية؟ إن من يتفكر في مآلات القائلين بمبدأ البقاء للأقوى يزداد يقينه بالإيمان بالله وبما شرع من عدل ورحمة وحكمة، شملت جميع البشر فالإسلام لا يفرق بين قوم وقوم، ولا بين جنس وجنس، بل ولا بين حضارة وحضارة، إنما ينظر إلى الإسلام إلى الإيمان الذي من أهم أسسه الأخلاق فمن تمسك بالأخلاق السامية الراقية مع إيمانه فذلك أحب الخلق إلى الله ورسله جميعاً، أما المعايير المادية التي يتبناها أولائك القوم إنما هي كسياج فكري لأمم قوية تريد أن تهيمن أبد الدهر على الكون، ولا تنظر بعين رحمة ولا إنسانية للمالك أضعف أو أقل، ويجدون في هذه النظرية وأتباعها تبريراً لأفعالهم، ولكنا نؤمن أيضاً بأن الله تعالى الخالق قد بين أن مصير الأمم التي تبرر هذه الأفعال وتستسيغها إنما جزاؤها الهلال إن عاجلاً او آجلاً ومصيرها بلاشك

إلى انحدار وضياع، قال تعالى (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)[١]

يقول عالم الأحياء الأمريكي داون ت كيش: يصور أصحاب نظرية التطور الحياة على أنها صراع دائم بين الأحياء، ويقيمون أهم ركن في نظريتهم وهو "الانتخاب الطبيعي" على هذه النظرية الضيقة، بينما لو ألقينا نظرة متفحصة وشاملة للحياة، فإننا نرى سمة التعاون فيها أشمل وأكثر وأوضح، فلولا التعاون بين النباتات والحيوانات لما استمرت الحياة. حيث تنتج النباتات الأكسجين الضروري للحيوانات التي تنتج ثاني أكسيد الكربون الضروري للنباتات، والحشرات تقوم بتلقيح أزهار النباتات، بينما تقوم النباتات بتوفير الرحيق اللازم لهذه الحشرات، نعم هناك صراع بين الأحياء، ولكننا إن دققنا النظر تأكدنا أن معظمه هو في صالح المجموع ومن أجل إبقاء التوازن بين الأحياء.[٢]

(١) سورة الإسراء:١٦

(٢) داون ت كيش: هل تعرضت لغسيل الدماغ؟ترجمة: أورخان محمد علي ط:فكر صـ٣٥

الخاتمة

من خلال هذا البحث يتبين أن البعد الأخلاقي لنظرية التطور يقوم على دعائم ثلاث:

الأولى: مفهوم الأخلاق لدى علماء التطور وقد نتج من خلال استقرائنا بإنصاف لما دونه علماء التطور أن تعريفهم لمعنى الأخلاق، يرجع إلى الاحتياجات الضرورية للجنس البشري، وأن مرد الأخلاق إلى الغرائز، ومن ثم فقد ترتب على ذلك عندهم أن الأخلاق تتطور كما يعتقدون تطور الجنس البشري بيولوجياً، وناقشنا هذه الدعاوى التي لا تقوم على أساس علمي صحيح، وبما أن المقدمة فاسدة فالنتيجة كذلك، فلا دليل صحيح وعلمي عندهم على أن الأخلاق تتطور، ولم نجد عندهم أي دليل علمي واضح على تفسير خلق "الإيثار"مثلاً، فما النفع البيولوجي الذي يعود على إنسان يحرم نفسه من شيء لأجل الآخرين؟ بل يزداد الأمر تعقيداً أمامهم إذا قلنا: ما التفسير العلمي المستند إلى مفهوم تطور الأخلاق بيولوجياً، لرجل ضحى بحياته من أجل غيره حتى الموت؟ فما النفع البيولوجي الذي سيعود عليه؟

الثانية: مفهوم نسبية الأخلاق عند علماء التطور، فهم يقرون بأن الأخلاق ليست ثابتة، أو راسخة، وتساءلنا: هل مفهوم العدل نسبي؟!، هل الصدق أمر نسبي؟ هل الرحمة خلق نسبي؟ وهكذا لا نجد شيئاً يستند إلى دليل صريح أو قهم صحيح، إنما مجرد فلسفات سوفسطائية، وأقيسة نوعية لا تنتج حكماً، ولا تقوم بها حجة.

الثالثة: مفهوم الانتخاب الطبيعي، والذي يعني : البقاء للأقوى ، وإن زعموا غير ذلك، في تحديد هذا المفهوم، فهم يقيسون حياة الغابة والحيوانات على الجنس البشري، متذرعين ببعض أوجه التشابه البيولوجي، وفي هذا خطأ علمي كبير، بيّنه منذ سنوات عالم الأحياء الكبير داون ت كيش – كما ذكرنا في ثنايا البحث– ثم إن أصحاب نظرية التطور بدلاً من تراجعهم عن هذا المفهوم الخاطئ، واعتذارهم عنه، راحوا يبررون بحجج

واهية على صحته، وحين طرحنا المسألة على بساط البحث العلمي الصحيح وتساءلنا: هل معنى الانتخاب الطبيعي في عالم الإنسان القضاء على الضعيف، بدلاً من الرفق به، ومساعدته؟ هل معنى ذلك أن القوي يأكل الضعيف؟ وهل الضعف عيب يستحق الفناء، والجبروت قوة تستحق البقاء؟ وهل تجدون هذا صحيحاً علمياً أن على الشعوب ذات الإمكانيات القوية أن تبيد شقيقتها في الإنسانية ذات الإمكانيات الضعيفة؟! وهل هذا ما يطرح في مجال البحث العلمي للناس؟ فلم نجد إجابات شافية لهذه التساؤلات اللهم إلا ما كان من إنكار الذات الإلهية على كل حال، ودعم الإلحاد، والسعي وراء الشهوة واللذة والنفع الذاتي.

وبذلك يتبين ما يلي:

١- إن الأخلاق في الإسلام تُبنى على أسس إلهية، فالله سبحانه وتعالى هو مصدر القيم والمعايير الأخلاقية

٢- إن أول نتائج هذه النظرية زلزلة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ودعم الإلحاد والتنكر للإله الخالق الحكيم، ثم زلزلة الإيمان بالإنسانية والإنسان، وزعزعة كل نظام، ومبدأ.

٣- المعايير الأخلاقية لا تتغير بتغير الأزمان.

٤- الأخلاق ليست منتجًا للتطور.

٥- العقل وحده لا يكفي لضبط الأخلاق.

٦- التناقض في مفهوم النسبية الأخلاقية.

٧- الأخلاق ثابتة بوحي إلهي.

٨- القول بمبدأ البقاء للأقوى تعد واضح على كل القيم الإنسانية.

توصيات البحث:

١- أوصي بقراءة وتحليل كتب علماء الأحياء، الذين بيّنوا عوار نظرية التطور علمياً، وأنصفوا شرائع الأنبياء وبيّنوا أن الأخلاق مصدرها إلهي فطري، وما سوى ذلك يفتقر إلى دليل.

٢- أوصي بعدم الانجرار وراء المصطلحات الفخمة، أو الألقاب الرنانة التي يطلقها أتباع نظرية التطور للتمسح بالعلم، وتحكيم العقل في قراءة كتبهم، والبحث وراء مآل أفكارهم، وسيتبين عدم ملائمة ذلك لكل ذي فطرة سوية.

٣- أوصي بعمل فريق متكامل من الباحثين الشرعيين، والباحثين في علوم الأحياء والطب بعمل موسوعة طبية شرعية، يبينوا من خلالها الحق الذي جاء به القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يتعلق بالإنسان بيولوجياً ودينياً.

٤- أوصي بضرورة التبادل العلمي والثقافي بين الشرق والغرب من ناحية الإنتاج العلمي، وعرض ما يكتبه علماء الإسلام من بحوث ودراسات منطلقة من الكتاب المعصوم، وهو القرآن الكريم لفئة العلماء الباحثين عن الحق في كل زمان ومكان.

٥- أوصي زملائي الباحثين بالاطلاع على كتب المتخصصين في مجال الأحياء من علماء الإسلام، قبل الخوض في دراسة أفكار أصحاب نظرية التطور.

المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية:

١. القرآن الكريم: كتاب رب العالمين.
٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، الشهير بِاْسم «صحيح البخاري» ط: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ
٣. مسند الإمام أحمد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م طبعة الرسالة.
٤. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة ، ج٣، طبعة: ذوي القربى ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ
٥. كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث ١٧١٩-١٩١٤ ، ترجمة د. فاضل حسين ، جامعة الموصل، العراق ١٩٨٧
٦. (١)انظر: زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر. دار المسيرة .عمان ، ط١ ،٢٠١٢ ، صـ ٣٦٧ .
٧. تشارلز دارون، حياته وخطاباته، ترجمة الزهراء سامي، مطبعة هنداوي ٢٠١٧م،
٨. د/جوناثان ويلز، أيقونات التطور علم أم خرافة، ترجمة: د/موسى إدريس وآخرون، دار الكاتب، الطبعة الأولى ٢٠١٤
٩. تشارلز دارون: أصل الأنواع ، ترجمة مجدي محمود المليجي ط: المجلس الأعلى للثقافة سنة٢٠٠٤م
١٠. تشارلز دارون، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، ترجمة: مجدي محمود المليجي، ط: المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٥م
١١. ول ديورانت ، قصة الفلسفة من أفلاطون الى جون ديوي ، ترجمة د. فتح الله المشعشع ،مكتبة المعارف ، بيروت ،طبعة مجددة، ٢٠٠٤
١٢. هنري توماس ، أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم ، ترجمة متري أمين، مؤسسة فرانكلين ، نيويورك ، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة ، ١٩٦٤

١٣. تشارلز داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي–ترجمة مجدي محمود المليجي–المجلس الأعلى للثقافة ط١ ج١ ٢٠٠٥

١٤. روجر سكرتن: عن الطبيعة البشرية –ترجمة د/ رشا صادق ط المدى للنشر والتوزيع، سنة ٢٠٢٢م

١٥.رمزي محمد: الأخلاق التطورية، مقدمة فلسفية، يوليو ١٤, ٢٠١٦ ، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/١١/٥ بتصرف

١٦.حبيب مغلوب : إلى الوراء في نقد اتجاهات التقدم –دار الفارابي، بيروت ، لبنان– الطبعة الأولى ٢٠١٠م

١٧.لمياء عز الدين عبدالحميد: موقف تشارلز دارون من الأخلاق بدون

١٨. Charles Darwin, Autobiography (New York: Norton, 1969), 94

١٩. د. ريتشارد وايكارت ،من داروين إلى هتلر: الأخلاق التطورية واليوجينيا والعنصرية في ألمانيا ترجمة: جنات جمال – يسرا جلال الطبعة: الأولى – يناير ٢٠١٩

٢٠.وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة،ترجمة محمود سيد أحمد ، طبعة التنوير ، بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م

٢١.أبو بكر ذكرى، تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٦٥، ؛

٢٢.د. وسيم إبراهيم: الأخلاق والطبيعة الإنسانية، دار دمشق، دمشق، ط١، ١٩٩٥

٢٣.هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين، دار الرافدين سنة ٢٠١٦

٢٤.رمزي محمد، الأخلاقيات التطورية، مقدمة فلسفية، م. س تاريخ الزيارة: ٢٠٢٤/١١/٢٢

٢٥.ولتر ستيس: الدين والعقل الحديث: ترجمة د/إمام عبدالفتاح إمام، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.

٢٦.زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية: من سلسلة مشكلات فلسفية (٦)، مكتبة مصر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠
٢٧.د.حسام الآلوسي : التطور والنسبية الأخلاقية ، دار الطليعة . بيروت . ط١ . ١٩٨٩
٢٨.محمد عبدالحفيظ: إشكالية الأخلاق عند ولتر ستيس: بدون ط، صـ٧٠ وما بعدها بتصرف.
٢٩.إرادة الاعتقاد، ترجمة محمود حسب الله ، القاهرة ١٩٤٦م.
٣٠.جون ديوي: تجديد في الفلسفة، ترجمة أمين مرسي قنديل، مكتبة الأنجلو المصرية; القاهرة ١٩٤٨
٣١.داون ت كيش: هل تعرضت لغسيل الدماغ؟ترجمة: أورخان محمد علي ط:فكر

ثانياً : المراجع الأجنبية:

- David Duncan, The life and letters of Herbert Spencer,
- Brian Holmes, Herbert Spencer, international Bureau of Education,p.٦.
- https://www.hindawi.org/contributors/٤٧٠٦٣٧١٩/
- Fritz Allhoff :Evolutionary Ethics From Darwin to Moore -University of
- Charles Darwin, Autobiography (New York: Norton, ١٩٦٩
- Herbert Spencer, The principle of ethics, VOL ١. New York. D. Appleleon and company. ١٨٩٦
- W.T Stace, The concept of Morals , the Macmillan company , New York,١٩٣٧,
- W.T.Stace ; The concept of Morals .
- https://ar.wikipedia.org/wiki/___

فهرس الموضوعات

ملخص البحث :- ٣٤١٤
مقدمة ٣٤١٨
سبب اختيار الموضوع: ٣٤١٩
منهجي في البحث: ٣٤٢٠
خطة البحث ٣٤٢٠
المبحث الأول: التعريف بأبرز علماء نظرية التطور ٣٤٢١
المطلب الأول: التعريف بـ (تشارلز دارون ١٨٠٩-١٨٨٢) ٣٤٢٣
المطلب الثاني: التعريف بـ (هربرت سبنسر ١٨٢٠-١٩٠٣) ٣٤٢٥
المطلب الثالث: التعريف بـ (ولتر ستيس) ٣٤٢٨
المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق عند أصحاب نظرية التطور ٣٤٣٠
المطلب الأول: مفهوم الأخلاق عند داروين ٣٤٣١
المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق عند سبنسر ٣٤٣٥
المطلب الثالث: مفهوم الأخلاق عند ولتر ستيس ٣٤٤٠
المطلب الرابع: نسبية الأخلاق عند علماء التطور ٣٤٤٥
المبحث الثالث: نقد البعد الأخلاقي لنظرية التطور ٣٤٤٨
المطلب الأول: نقد مفهوم الأخلاق عند علماء التطور ٣٤٤٨
المطلب الثاني: نقد مفهوم نسبية الأخلاق ٣٤٥٢
المطلب الثالث: نقد مفهوم الانتخاب الطبيعي (البقاء للأقوى) ٣٤٥٥
الخاتمة ٣٤٥٧
المصادر والمراجع ٣٤٦٠
فهرس الموضوعات ٣٤٦٣